كمال جنبلاط والقضيَّة الفلسطينية

د. خليل أحمد خليل

تبلور وعي القضية الفلسطينية، عند كمال جنبلاط، من خلال حركة القومية العربية المتخذة مختلف أشكال النضال، لأجل الاستقلال والتحرُّر الوطني. ولم يكن يفصل بين القضية والثورة، معتبراً أن القضية الفلسطينية لا يمكن تحقيق محتواها، التحرري والتقدُّمي، إلا بأداة ثورية، هي اعتماد الشعب الفلسطيني المسلَّح على نفسه، وتحالفه العُمقي مع كل حركات التحرر العربية والعالمية؛ ومؤكداً أن الثورة الفلسطينية، حين انطلقت وصمدت وتطورت، إنما آذنت ببلوغ أعلى مراحل القضية، لا سيما انتصارها وتحوُّل الأهداف السياسية إلى أهداف ملموسة ميدانياً. ونحن لا ندّعي، هنا، الإحاطة بوعي كمال جنبلاط القضية الفلسطينية، وإسهامه في النضال الثوري لأجلها، والاستشهاد بطلاً منتصراً على طريقها، ولهذا، فسنكتفي برسم المعالم الكبرى لتعامله مع هذه القضية التي اعتبرها أم القضايا العربية المعاصرة، فكان دائماً يصفها بأنها قضية وطنية، قومية وإنسانية معاً، قضية، اخلاقية وروحية، يلتزم الإنسان الحرُّ بمضمونها أينما وُجد.

ففي مخطوطة له بعنوان: «**الإيمان بالحياة**»، وضعها في أواخر الأربعينات، يُظهر كمال جنبلاط العلاقة الجدلية بين ايمان الانسان بقضيته وايمانه بحياته؛ حيث تغدو قضيّته هي حياته بالذات، ولا مضمون لحياته دون قضيته المُعلنة والمتنامية، في سياق حركات قومية وتقدّمية كبرى. فقد جاء في المخطوطة أنه: «بعد الجولة الأولى من **معركة فلسطين** [١٩٤٧ ــ ١٩٤٨] وبعد فترة النقمة والذهول والارتباك، بدأنا نتلمس الأسباب الظاهرة للكارثة: ١ ــ تآمر الدول الاستعمارية وتآزرها، لفرض وتدعيم سيطرة شركاتها واحتكاراتها في الشرق العربي. **فمعركة فلسطين هي معركة البترول والأسواق التجارية**. ٢ ــ جهل القادة العرب وأنانيتهم وضعفهم وتعاونهم، الخفي والظاهر، مع الرأسمالية الدولية الاستعمارية. فالدول الاستعمارية التي حَذِقت فنون الاستعمار واتقنت مهمة تسيير الجماهير وقيادة الجماعات، زرعت الشرق بعملائها المستترين، وقد نراها في